

"مركز الحوار" في واشنطن يناقش مع الكاتبة الأميركية في "واشنطن بوست" كاريل ميرفي، موضوع العالم الإسلامي والسياسة الأميركية

منذ هجمات سبتمبر الإرهابية عام 2001، تزايد اهتمام الأمريكيين بدراسة المناخ السياسي والاجتماعي في العالمين العربي والإسلامي لمعرفة الدوافع التي تقف وراء اجتذاب بعض المسلمين إلى التطرف الديني الذي يستهدف الغرب والولايات المتحدة بشكل خاص، ولكن الكاتبة الأميركية كاريل ميرفي الحائزة على جائزة بوليتزر في الامتياز الصحفي بدأت دراساتها حول هذا الموضوع قبل عدة سنوات من وقوع هجمات سبتمبر وخلال خمسة أعوام عملت فيها كمديرة لمكتب صحيفة الواشنطن بوست في القاهرة منذ عام 1989 تنقلت خلالها بين عواصم عربية عديدة بالإضافة إلى القدس وألفت كتابا عن الصحوة الإسلامية وتغلغل الإسلام في كل جوانب حياة المسلمين. واستضافها مركز الحوار العربي في منطقة واشنطن للحديث عن دراساتها وكتابها في حوار ضمّ كالمعتاد نخبة من المثقفين العرب وبعض الأميركيين. وفي البداية تحدثت كاريل ميرفي، وهي عضو كذلك في المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية، عمّا أسمته بالمناخ السياسي والاجتماعي المتفجر في الشرق الأوسط والذي يجتذب البعض إلى مساندة منظمات إرهابية مثل تنظيم القاعدة، فقالت إن ذلك المناخ المتفجر يجد أسبابه في ثلاث قوى تاريخية رئيسية:

أولا: حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة وما أعقبها من انقسام عميق داخل المجتمعات الإسلامية فيما يتعلق بمفهوم ومتطلبات التحديث والخلاف حول التجديد والسلفية.

ثانيا: الافتقار إلى الحريات السياسية والحقوق المدنية في كثير من الدول العربية في ظل نظم حكم شمولية مما أدى إلى عقم الحياة السياسية في العالم العربي.

ثالثا: فشل المجتمع الدولي والولايات المتحدة بشكل خاص في إيجاد تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعدم اتخاذ مواقف متوازنة وعادلة إزاء طرفي الصراع.

وترى الصحفية الأميركية أن تلك العناصر الثلاث تصافرت في إشاعة مناخ من الاضطراب سرعان ما أدى إلى اللجوء إلى العنف السياسي ثم إلى الإرهاب المتخفي وراء دوافع التطرف الديني، ونبّهت إلى ضرورة أن تعمل الولايات المتحدة بصبر وأناة على التعامل مع ذلك المناخ وتغييره على المدى الطويل بعد أن تهدأ المشاعر المتأججة بسبب الغزو الأمريكي للعراق وتحول الولايات المتحدة ولأول مرة في تاريخ العلاقات العربية الأميركية إلى قوة احتلال لدولة عربية.

ومن خلال دراستها للتوجهات التي تمارس تأثيرا واضحا وعميقا على ما يحدث في الشرق الأوسط رصدت الكاتبة الأميركية أربعة اتجاهات رئيسية:

أولا: التقوى: إذ تشهد المجتمعات العربية في السنوات الأخيرة زيادة في الاتجاه نحو الالتزام الشخصي بتعاليم الدين الإسلامي والتفقه في شئون الدين، واتخذ ذلك التوجّه أشكالا عديدة مثل المحافظة على أداء الصلوات الخمس في المساجد، والحرص على الالتزام بصوم رمضان وأداء الزكاة لاستخدامها في مساعدة فقراء المسلمين، والحرص على حضور الندوات والمحاضرات عن الإسلام والشريعة الإسلامية، وبالنسبة للمسلمات زاد التوجه لارتداء الحجاب. ولم تقتصر التقوى على المجتمعات الإسلامية بل امتدت لتشمل أيضا المسلمين الذين يعيشون في الغرب وفي الولايات المتحدة.

ثانيا: الإسلام السياسي: والمقصود به وضع أجندة سياسية تستند إلى المفاهيم الإسلامية ويحظى هذا التوجّه باهتمام كبير لدى صنّاع السياسة الخارجية الأمريكية باعتبار أن تيار الإسلام السياسي في العالم العربي يضمّ طيفا واسعا يتراوح بين إسلاميين متشددين لا يؤمنون بالتسامح ويريدون فرض رؤيتهم السياسية على مجتمعاتهم بل على العالم من خلال العنف مثل حركة طالبان في أفغانستان، بينما يوجد على الطرف النقيض من حركة الصحوة الإسلامية مسلمون ناشطون سياسيا ومسالمون لا يؤمنون

بالتورط في أعمال العنف السياسي، ولذلك يجب على الولايات المتحدة أن تميّز تماما بين الفريقيين والعمل مع النشطاء المسالمين الذين يسعون إلى توسيع نطاق الممارسة الديمقراطية في بلادهم.

ثالثا: الإسلام الثقافي: وهي سمة جديدة وبالغة التعقيد في التوجهات الإسلامية التي تمارس تأثيرا عميقا على الأحداث في الشرق الأوسط، وتتطوي على شعور المسلمين بتهديد الغزو الثقافي من دول العرب وخاصة الولايات المتحدة، وهو تهديد زادت من خطورته العولمة، وأمام هذا الشعور عاد المسلمون أكثر وأكثر إلى جذورهم الثقافية المستمدة من حقيقة كون الإسلام عقيدة تنظم شؤون الحياة اليومية. وفي إطار العودة إلى تلك الجذور يرفض الشباب المسلم الموسيقى الغربية باعتبارها حراما، ومنهم من يحاولون صياغة تعبيرات تصف بشكل إسلامي قيما يتطلعون إليها مثل الديمقراطية والفردية وحقوق الإنسان من خلال مزج تلك القيم الغربية مع خلفياتهم الثقافية الإسلامية، أو التعبير عن تلك القيم بشكل يجعله منطقيًا ومقبولًا في مجتمعاتهم الإسلامية بحيث يتغلبون على الشعور بأنهم يقلدون الغرب الذي يعتقدون أنه يستهدف تآكل ثقافتهم الإسلامية.

رابعاً: الفكر الإسلامي الجديد: ويعني إعادة فتح باب الاجتهاد وإعادة التفكير في الموروث من الفكر الإسلامي التقليدي، فبعد قرون ظل خلالها المسلمون يتطلعون على العلماء الذين أمضوا سنوات طويلة في الدراسة المتخصصة لعلوم الفقه والشريعة والسنة كمراجع في تفسير القرآن وتعاليم الإسلام، بدأ مسلمون عاديون يدعون حقهم في إعادة دراسة ومراجعة الفكر الإسلامي والبحث عن تفسيرات حديثة للنصوص الإسلامية تكون أكثر ملاءمة للعصر وتحدياته وحقائقه وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين المسلم والدولة ومن يجب أن تكون له سلطة الحكم في الإسلام وإلى أي حد يمكن للمسلم المثقف أن يطرح تساؤلات معينة في القضايا الدينية.

وأعربت الكاتبة الصحفية الأمريكية في حديثها في مركز الحوار العربي في واشنطن عن اعتقادها بأن أهم تساؤل مطروح هو دور الإسلام في الحياة العامة وفي المجتمع الإسلامي حيث أن الإسلام حافظ دائما على وجود علاقة وثيقة بين الدين والسياسة، وفي الوقت نفسه ليس في الإسلام مرجعية دينية عليا وحيدة مثل الفاتيكان في المسيحية، وبالتالي لا توجد هيئة عليا لحل الخلافات والتوفيق بين وجهات النظر الإسلامية المختلفة بحيث أصبحت كل مدرسة فكرية إسلامية تصر على أنها تمثل الإسلام الصحيح. ولسوء الحظ أصبح لأصوات المتشددین منهم الكلمة الأعلى لتمتعهم بالصوت الأعلى بسبب الانفتاح إلى الحريات السياسية في العالم العربي وبسبب القيود المفروضة على المناظرة والجدل العلني بين المدارس الفكرية الإسلامية المختلفة وأيضا بسبب الإخفاق في تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مما وفر ميزات نسبية للمتشددين.

وقالت الكاتبة الأمريكية إنها تعلمت من السنوات الخمس التي أمضتها في مصر وتنتقلت أثناءها بين عدد من الدول العربية والقدس أن معظم المسلمين العرب لا يكرهون الولايات المتحدة كدولة ولا يكرهون الأمريكيين ولكنهم يكرهون السياسة الخارجية الأمريكية ولذلك يتعين على الولايات المتحدة أن تتفهم وبعمق الأسباب الحقيقية التي تدفع بعض الشباب المسلمين إلى الانضمام إلى تنظيمات إرهابية مثل القاعدة أو تساند أهدافها.

وردا على سؤال عما تتصوره كاريل ميرفي لما يجب أن تكون عليه استراتيجية أمريكا طويلة الأمد للتعامل مع جذور العنف والإرهاب الذي يتخذ من الدين غطاء له قالت إن تلك الاستراتيجية تتطلب:

أولا: تغييرا في بعض السياسات الخارجية الأمريكية تشمل معالجة جديّة ومنصفة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ودورا نشطا للدبلوماسية الأمريكية في إنجاز تسوية سلمية وعادلة.

ثانيا: بذل جهود أمريكية متواصلة ومتسقة لتعزيز الإصلاح السياسي والتحول نحو الديمقراطية في العالم العربي مع الوقوف بكل قوة ضد استخدام بعض الأنظمة العربية للتعذيب للمنشقين والمعارضين.

ثالثا: أن تقدّم الولايات المتحدة النموذج المثالي للحفاظ على الحقوق المدنية والقانونية التي جعلت أمريكا شعلة للحرية في العالم، وهي حريات تآكلت تحت شعار الحرب ضد الإرهاب وأصبحت بذلك مبررا للإساءة إلى الحريات المدنية والحقوق القانونية في دول أخرى.

رابعاً: أن يظهر الدور الأمريكي في العراق نتائج إيجابية تسفر عن مساعدة الشعب العراقي في إرساء أسس نظام حكم ديمقراطي ونقل السيادة إليه وإنهاء دور المحتل.

خامساً: زيادة الحوار ومدّ جسور التواصل بين الأمريكيين وشعوب الشرق الأوسط من خلال رجال الأعمال ومسؤولي السياحة والأكاديميين والخبراء والأطباء وعلماء دراسات الأديان وغيرهم للتوصل إلى تفاهم مشترك ضد الإرهاب.

ولكن الكاتبة الصحفية الأمريكية كاريل ميرفي أقربت بأن عملية التحول المطلوبة في الشرق الأوسط ستحتاج لعشرات السنين ويجب على الولايات المتحدة إذا كانت مخلصاً في الرغبة في مساندة التحول الديمقراطي في العالم العربي أن تدرك ما ستتطوي عليه العملية من مصاعب وتحديات مثل احتمال وصول الإسلاميين إلى الحكم في بلد عربي ما عن طريق صناديق الانتخابات، ويجب ألا يدعو مثل ذلك السيناريو إلى الاعتقاد بأن الديمقراطية ستنتهي في ذلك البلد فليس كل الإسلاميين مناهضون للديمقراطية، ويجب السماح للمعتدلين الإسلاميين، وهم الأغلبية في معظم الدول الإسلامية، بتوصيل رسالتهم إلى شعوبهم لأنهم الأكثر قدرة على مواجهة تيار الراديكاليين المتشددين والذين يروجون دائماً لنظرية المؤامرة بحيث أصبحت رائجة حتى بين أوساط المتقنين العرب.

وتعجبت كاريل ميرفي من حقيقة أن دولة مثل الولايات المتحدة تتفرد بكونها القوة العظمى الوحيدة في عالم اليوم وتمتلك أفضل الإمكانيات التكنولوجية والمادية والبشرية تعجز عن تحسين صورتها في العالمين العربي والإسلامي وحتى عندما لجأت إلى الدبلوماسية العامة لكسب قلوب وعقول الشباب العربي والمسلم استخدمت مزيجاً من الموسيقى الشعبية العربية والغربية من خلال "راديو سوا" بدلاً من أن تدرس الأسباب الحقيقية التي تدعو هؤلاء الشباب إلى الشعور بكرهية الولايات المتحدة، وبررت ذلك التوجّه الساذج بأن المسؤولين الحكوميين غالباً ما يحاولون راب أي صدع بحلول سريعة ولذلك استعانوا بسيدة من هوليوود لإنتاج شرائط فيديو تصور إنجازات المسلمين في أمريكا، وتناسى هؤلاء المسؤولون أن أي مسلم يشاهد تلك الأشرطة سيدرك على الفور أنها "بروباجندا رخيصة". وخلصت الكاتبة الأمريكية في حديثها بمركز الحوار العربي إلى أن السياسيين الأمريكيين لم يفكروا لأنفسهم في سبب شعور العرب والمسلمين بمشاعر معادية للسياسة الخارجية الأمريكية والنقطة الأولى تبرير لتلك الكراهية روج له رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بنيامين ناتانياهو حين قال إن العرب والمسلمين يكرهون الغرب والولايات المتحدة بالتحديد بسبب ما تتمتع به من تقدم وما ينعم به المواطن فيها من حرية وديمقراطية، وهو تبرير غير حقيقي سرعان ما تراجع عن استخدامه في العام الماضي الرئيس بوش وقالت إنه قد يكون فهم الحقيقة، وقالت مازحة "ربما يكون الرئيس بوش قد فهم الحقيقة من خلال قراءة كتابي وإن كنت لا أعتقد ذلك لأنه لا يقرأ".

(تقرير من إعداد: م. ش. - واشنطن)

تتأكد أهمية تجربة "مركز الحوار" وفوائدها العديدة من خلال تشجيع أسلوب الحوار بين العرب من جهة وبين العرب والمجتمع الأمريكي من جهة أخرى، وذلك عبر أنشطة (باللغتين العربية والإنجليزية) تشمل مطبوعات دورية وموقع هام على الإنترنت، إضافة إلى ندوات أسبوعية بلغ عددها 525 ندوة حتى منتصف العام 2003، شملت ميادين الفكر والثقافة والسياسة والعلاقات العربية الأميركية.

لمزيد من المعلومات عن "مركز الحوار العربي" في واشنطن:

<http://www.alhewar.com>

AL-HEWAR CENTER

MAILING ADDRESS: P.O. Box 2104, Vienna, Virginia 22180 - U.S.A.

Telephone: (703) 281-6277 Fax1: (703) 281-0528 Fax2: (775) 854-9846

E-mail: alhewar@alhewar.com